

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في المراكب بالبريد السريع

١ عن العدد الواحد

الاهتمامات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للفكر والعلم والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٤٧٧ « القاهرة في يوم الإثنين ١٢ شعبان سنة ١٣٦١ - الموافق ٢٤ أغسطس سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

أبو سمبل

للأستاذ عباس محمود العقاد

أسينا في جو مفعم بالزجر والعيافة ، مقلد بالأحاجي
والأسرار ؛ يتكلم التكلم فإذا هو عائف أو زاجر من حيث
يريد ولا يريد ، وإذا هو معرض عما بين يديه وتحت عينيه لينظر
إلى عالم الغيب ويستعجل العلم بقده المحجوب ، وبالدن يجرى
في ساعته تلك على مدى الألوف من الأيمال

وحق للناس تلك الليلة أن يمرض عما بين يديه وتحت عينيه !
فإذا كان في الحق بين يديه وتحت عينيه ؟

منظر واحد يتكرر ثم يتكرر ثم يتكرر في غير تبديل !
هضاب ورمال ، ثم هضاب ورمال ، ثم هضاب ورمال ...
ثم نيل ينتظمها ويجري في خلالها ، ليزيد التشابه بينها ولا يزيد
شيئاً من التبديل أو التنويع

فإذا طالت نظرة العين إلى تلك التشابهات فهي كالعين النومة
التي حذت بالنظر شيئاً واحداً حتى غاب عنها وغابت عنه ،
فاستسلمت لما يوحى إليها من الأنباء ، وما يكشف لها من الأسرار
هنالك علمنا منشأ الزجر والعيافة من قديم . فلا يزجر
الزاجر ولا يميم المائف إلا وبه نقص من حظ العيان ، وحاجة
إلى العلم بالفهم والسماع

الفهرس

صفحة

- ٨١٣ أبو سمبل ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
- ٨١٦ غرام « سعد زغلول » ... : الدكتور زكي مبارك ...
- ٨١٩ من معهد الاسكندرية إلى { الأستاذ محمد محمد المدني ...
جامعة فاروق الأول ...
- ٨٢١ نظام الضرائب في الاسلام { الأستاذ علي حسين الوردى
وهل روى فيه الوضوح
واللامعة ؟ ...
- ٨٢٥ المساهمة والشركة في مصر : الأستاذ عبد الله حنين ...
- ٨٢٦ نحن في صراع دائم ... : الأستاذ حنين الظريفي ...
- ٨٢٧ كتاب « الامتاع والمؤانسة » : الأستاذ محمود البشبيشي ...
- ٨٢٩ عدنا ... والتقينا [قصيدة] : الأستاذ عباس محمود العقاد
- ٨٣٠ الأب أنتاس ماري الكرملي { الأستاذ مير بصري ...
في عيد ميلاده ...
- ٨٣١ « سعد زغلول من أفضيته » : الدكتور زكي مبارك ...
- ٨٣١ تصحيح ... : الأديب علي محمد حسن ...
- ٨٣٢ في الشعر التمثيلي ... : الأديب عبد الرحمن عيسى
- ٨٣٢ من توارد الحواطر ... : الأديب أحمد بدران ..

وإننا لكذلك إذ انحدر أمامنا مركب سريع موقر بالأبقار
السمان ...

فصاح صائح : بشارة خير !

وصاح ثان : نعم ، وأى خير ! فهي أبقار لا تذهب إلى مصر
لتؤمن الأستاذ روميل وأصحابه بطبيعة الحال ... ولا تصل إلى
القاهرة قبل ثلاثة أيام

وانطلقت الفكاهة والجد أى منطلق في ذبول هذه العجاوات ؛

فن قائل : إنها تكلمت وسكت الناس ؛ ومن قائل : إن بقرات
يوسف عليه السلام كانت سبعاً وكانت في المنام ، وهذه سبعون
وفوق السبعين تراها في اليقظة رأى العين . فـأ أحسن البشارة
وما أصدق التعبير !

وكان صاحب القدح الملى في تلك العيافات والتعبيرات طبيعياً

لودعياً يسخر من الخرافات

فقلنا : وقد تمت المعجزة بحمد الله ، واصطلح الطب والسحر
لحظة في هذه الليلة بفضل الجهل بالأنباء ... وللجهل فضله الذي

لا ينكر في بعض الأحيان

ثم تواتت الأنباء من هذا الطراز : كل مركب منحدر
يمر عن شيء كثير ، بغير سؤال وجواب ، وبغير اعتساف
في التأويل والتعبير

وأُسفرت ليلة الزجر والعيافة عن صباح مشرق كأوضح
ما يكون صباح وتشرق شمس في سماء
ونظرنا ... فـإذا رأينا ؟

عجبية من عجائب التوفيقات : فقد رأينا على الشاطئ قبالتنا
هيكل الصباح المشهور بين الهياكل المصرية ، ورأينا في اللحظة
التي بُني لها ، وأعدت محاريبه للقائها والامتلاء بشعاعها وضياءها :
وهي لحظة الشروق

هذه مطالع هاتور

هذه محاريب أبي سمبل ، وهذه تماثيلها الأربعة الفخام لا تسأم
النظر إلى الدنيا في جلسها ، ولا تسأم الدنيا من النظر إليها
وهذا هو الوادي الذي قدسوه قبل ثلاثة آلاف سنة ،
وجعلوه حرماً لربته هاتور ، ولأرباب كثيرين
فهي إذن ظلال الهيكل الساحر التي شملتنا في جو الزجر

وكنا في مثل تلك الحاجة ليلة الزجر والعيافة
فتركنا معركة العلمين ناشبة في بدايتها ونحن لا نسمع كثيراً
ولا قليلاً عنها ، وانقضى الليل وطرف من النهار ولا خبر
ولا رواية ، ولا إشاعة كذلك الإشاعات التي يخترعها المرجفون
ولها صبغة من الخبر والرواية

وما معركة العلمين في تلك الليلة وفي كل ليلة تأتي بعدها
إلى أقاصى التاريخ ؟

هي معركة سماها القدر ولم يسمها الجيشان ولا صحف الأنباء
أو مطلقوا الأسماء على معارك القتال

هي معركة علمين اثنين تلخص فيهما جميع الأعلام التي تظل
المتقاتلين اليوم في كل ميدان

علم الحرية وعلم الطغيان !

علم الدفاع وعلم الفتوح والنارات !

وأى العلمين ارتفع في تلك المعركة ففيه مصير عالين وخافقين
ومشرقين ، وفيه ابتداء زمان وانتهاء زمان

وتلك تلك المعركة التي انقطعنا عن أخبارها ليلة وطرفاً من
نهار . ثم بلغنا الشلال ، فعلمنا أننا سنقضي في الباخرة نيفاً
وأربعين ساعة ، لا نحن بالعالم متصلون ، ولا العالم بنا متصل ،
حتى نستأنف الصلة به عند تخوم السودان

نيف وأربعون ساعة بغير أخبار !

وفي الباخرة مع ذلك طائفة من رجال الصحافة ورجال
الأعمال تعودوا عشرين سنة على الأقل ألا تنقضي عليهم أربعون
دقيقة بغير خبر جديد ، عن أمور بالغ ما بلغ شأنها فهي من
سفسان الحديث إلى جانب الحديث عن العلمين

فن لم يتعلم الزجر والعيافة في تلك الليالي المحجبات فـأ هو
متعلم ، وقد تعلمناها فأحسننا العلم بهما من درس واحد لم تسبقه
دروس ...

أقبل الليل فألقت الباخرة مراسيها عند الشاطئ إلى الصباح
وخرجنا من القاصير نتنسم الهواء جادين وتنسم الأخبار
متفكهن ، وذبح كل منا يسأل صاحبه مازحاً : ما أحدث
أنباء المساء ؟ فيجيبه : أى مساء ؟ الجمعة أو الخميس أو الأربعاء !
فشكل أخبار هذه الأيام سواء

والعيافة منذ ألمنا بواديهما ونحن لا ندرى

وهي إذن بقية من كهانات سبقت جميع الكهانات ، وأخذ
منها الوادي أو هي قد أخذت من الوادي بنصيب

وكان غمام التوفيق أن نبئت الليل في جوارها ثم لا نطلع عليها
إلا مع طلوع الصباح ، وقد فضت له مناقبها وكشفت له
محاربيها ، وعانقته هنية عابرة في لجة من النور
وعبرنا صامتين

وأنصتنا وأطلنا الإنصات ، لأننا نختلس السمع من وراء
ثلاثة آلاف عام . وماذا يمنعنا أن ننصت فنسمع ؟ ... ثلاثة
آلاف عام لا تنلئ بنا عن السمع في ذلك السكوت

كانوا يقولون في تلك اللحظة من وراء الجدران الضخام ،
ومن وراء جدران أضخم منها وأفخم ، وهي جدران الدهور :
« أتيت أيها البصر الهادي وتمزقت الظلمات ورجعت الأشباح
إلى ظلماتها ، واهتزت الأرض بالبشائر ، وافترت الثغور !

« تحيات يا رائد السماء . إننا لك خاشعون
« وإن الحياة لتبسم بك يا كريم . وإن الماء ليتنفس بك
يا واهب الأنفاس ، وإن الزهرة لبك تزهى ، وإن الورد لبك
تعطر ، وإنها لتحيات إليك يا رائد السماء ، وإننا لك لخاشعون أ
« صورت نفسك فألك مصور ، وكذلك صورت في ملكك
أول نهار ، وخلقت نفس الصباح ، ونفس الإنسان ، وكل ما نراه
عالم الإنسان

« حجت سرك في النور الأعظم فلا يستشفه بصر مبصر ،
وإننا لنحييك يا رائد السماء ، وإننا لك في سرك لخاشعون !
« يأيها الوليد القديم لكل نهار جديد ، نستقبلك ففرقص
فرحاً في كرامتك ، ونحنو لك خاشعين ! »

كانوا ينشدون هذا النشيد من وراء الجدران
كانوا ينشدونه بكل لسان ، ويرسلونه إلى كل سمع ،
فلا يضيرهم أن يخذلهم لسان واحد في تلك اللحظة ، وهو اللسان
الذي لا يقول بعد الموت ، ولا يخترق حجاب القبور

ليه أتيتها التماثيل الضخام أقيم تتحدثين في تلك الجلسة وقد
طالت بك آلاف السنين ؟

كم قلت ؟ وكم لم تقولي ؟ ! كم رأيت وكأنك مارأيت ؟
وكم غمرتك الرمال وأنت لا تحفلين ، وغمرتك الأنوار وأنت
لا تحفلين ، وغمرتك الأنظار المستطلعات وأنت لا تحفلين ...
فيم احتفالك أقيم صبرك وانتظارك ؟ وإلام تجلسين ؟ إلام
إلام تجلسين ؟ !

قلت لأصحابي : هذه جلسة تاريخية ليس لها قرار ، لأنها
كلها قرار !

قال قائل منهم : طوبى لها قرارها ! وطوبى لها هذه الجلسة
التي اطعنات إليها : لا حروب ولا أشجان ، ولا أهواء ولا أضغان ،
ولا أكثرات للإنسان ولا لعالم الإنسان

قلت : على رسلك يا صاح ... لو استطاعت أن تنبسم
لكلامك لامتلات أفواهها بالابتسام ، ثم جلبجت بالضحك حتى
ارتجت لها المضاب والآكام

أهذه التماثيل الضخام بمنزل عن الحروب والأشجان ، وعن
الأهواء والأضغان ، وعن الأكثرات للإنسان وعالم الإنسان ؟
هي حديث حرب ، وهي حديث حب ، وهي حديث شجن ،
وهي حديث إنسان يتكلم من وراء الزمن إلى إنسان

وخطوة واحدة وراءها تريك رمسيس في مركبة الحرب
يقبل الصفوف على الصفوف ، ويرسل الختوف وراء الختوف ،
ويفخر بالنجاة وهو مارق من بين أوف
وخطوة أخرى وراءها تريك الفاتنة « نفر تاري » وهي

كالنصن الريان بهواه وهوى عاشقيه
وخطوة أخرى وراءها تريك المطامع والأهواء ، تلعب
بالكهان والرؤساء ، وتزدلف إلى السطوة والثراء ، وتنطق
بالهجر والمراء

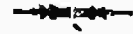
كلا . يا صاح ! هي الحرب في هذا المكان والحرب في كل
مكان ، وهي الأهواء الآن والأهواء في كل آن ، وهي الصخور
الصلاب تسكت سكوتها قسماً منها لجب الفرسان ، ونجوى
الحسان ، وسماية الأقران والأعوان

هي حرب يبنئنا بها حجر ، وحرب يبنئنا بها بقر ، وحرب
يبنئنا بها كل قاتل وأعجم ، ولا بعوزة ترجمان .

هباسي محمد العقاد

غرام « سعد زغلول »

للدكتور زكي مبارك



دَرَجْتُ في الأعوام الأخيرة على كتابة مقالة سنوية في (الرسالة) بمناسبة ذكرى « سعد » ، رعايةً لفضل هذا الرجل في بث الحياة الأدبية عند اختلافه مع زملائه الذين شاطروه أعباء الثورة المصرية ، لا رعايةً لقامه الوطني « وهو مقام محفوف بالإجلال عند جمهور المصريين والشرقيين » ؛ وإنما أحترس هذا الاحتراس لأن حقدى على « سعد » كان يفوق الوصف ، ومقالاتي في الهجوم عليه كانت أقوى ما كتبت في صدر شباني ، فقد كانت مبادئ الحزب الوطني غزت قلبي غزواً عنيفاً

أكتب هذا والحزن بمصر قلبي ، فقد انقضى ذلك العهد ، وخذت النار التي كانت تتأجج في صدرى ، ولم أعد أقبل الانضمام إلى أى حزب من الأحزاب السياسية

كانت لنا مبادئ تقتتل في سبيلها اقتتال المجاهدين الصادقين ، وكنا نرحب من أجلها بالسجن والاعتقال طائعين فرحين ، مبادئ سليمة تفرق بين الابن وأبيه ، والأخ وأخيه ، في غير بنى ولا عدوان ، فعلى عهدنا الكريم ألف تحية وألف سلام ! ولو لم يكن هذا الحديث متصلاً بذكرى « سعد » الذى عانى ما عانى من بلايا النفي والاعتقال لطوبته بلا تردد ، مراعاةً لظروف هذه الأيام ، فلتكن هذه السطور فتاً من الإحياء لذكراء بين أبناء هذا الجيل

حديث اليوم عن « غرام سعد زغلول » ، وهو حديث لم يُفَضَّ به إلا لأفراد قلائل ، فما ذلك الحديث ؟ أذكر أولاً أننى لن أجتري إنمّا ، ولن أسنّ سنة سيئة ، حين أتحدث عن غرام رجل عظيم شرّق صيته وغرّب ، فن الحال أن تخلو قلوب المظاء من صبوات وأهواء

يضاف إلى ذلك أننى سأحدث يوماً عن « غرام مصطفى كامل » ، الغرام الذى جعله من كبار الخطباء بلغة الفرنسيين ،

والذى فرض عليه أن يهتف هتاف الشوق إلى هواء ، وهو يمانى سكرات الموت ...

وأذكر ثانياً أن الدار التي سيجرى اسمها في الحديث عن « غرام سعد » لن تتألم ولن تتأفف ، لأن سعداً أحبها وأحب أهلها حب الشرفاء ، ثم ارتدّ عنها بحسرة دامية لم يخفّ كربها إلا بعد سنين تزيد على الخمسين

فكيف كان « سعد » حين استمر في صدره ذلك الحب ؟ كان طالباً في الأزهر الشريف ، وكان طلبة الأزهر في المهود السوالف على جانب كبير من التوقر والاستحياء

ولو شئت لقلت : إنه كان من الصعب على أى فتى مصرى أن يتخيل كيف تكون المرأة وهى عارية ؛ ولو شئت لقلت أيضاً : إن التصون كان مما يتباهى به الفتيان ، في ذلك الزمان ، قبل أن نصاب الدنيا بأوضار التمدن الجديد

وكان « سعد » أزهرياً عفاً القلب ، ولم يكن يعرف من نعيم الحواس غير اللحظات التي يقضيها مع زميله إبراهيم الهلباوى متربّعين على الرصيف بجانب المحكمة المختلطة لمشاهدة الرانحات والغاديات في عصرية كل خميس

فهل تكون تلك العصريات علّمت سعداً معانى النزك اللغوف ؟

هل تكون أوحى إليه أن قلب الفتى قد يتوهج من حين إلى حين ؟

حين قصّ علينا الهلباوى بك - رحمه الله - تلك الحكاية لم يشأ أن يطنب في الشرح والتعليق ، فقد كان في المجلس رجال يؤذيه التبسط في مثل ذلك الحديث ولم أكن أنا أعرف أنى سأتكلم عن غرام سعد بعد حين أو أحيان

المؤكد أن سعداً قضى شبابه في تصون وعفاف ، ولولا ذلك لكان من المسير أن يظل في نشاطه المعروف إلى أن يجاوز السبعين ومن هنا نعرف كيف اصطلى بنار الوجد في صباه ، فالشاب المصون يمانى من الغرام لذعات أحر من لدغ النار ، لحرماته من التصعيد الذى يجود به الحب الأثيم

فأين كان حب سعد ، حبه السليم من آفات العبت والمجون ؟ أطلّ يوماً من غرفته فرأى في دار الجوهري فتاةً كحيلة

إلى بنات الجيران ؟ هيبات ثم هيبات ، فقد حلف على المصحف ليصبرنَّ إلى آخر حياته وهو في طهارة القات الذيب
ثم يضطرم قلب سعد أعنف الاضطرام ، وتزداد بلاؤه بهواه
المكتوم ، من يوم إلى يوم ، والفتاة لا تعرف أن بجوارها فتى
يدعو الله في أعقاب الصلوات أن يجعلها نصيبه من دنياه ،
أو يجعلها على فرض الحرمان نصيبه من الحور العين

ويعض فيقلب كتب النحو والفقه والتوحيد ليحفظ ما فيها
من الأسماء الغزلية ، ولا يكتفى بذلك ، بل يعض فينسخ ديوان
ابن الفارض ، ليتخذ منه سميراً يؤنس وحشته حين تخفت
الأصوات في دار الجيران

إن سعداً فلاح وابن فلاح ، والفلاحون يخمدون نار الصبوة
بالزواج ، فما الذي يمنع من أن يسلك مسلك الفلاحين الشرفاء ،
فيطلب القرب من أهل تلك اللبحة الحوراء ؟

وهنا تنور مشكلة من أقبح المشكلات ، مشكلة اجتماعية
يعانيها الحي الأزهرى في جميع الأزمان ، وهي إصرار سكانه من
كبار التجار على أن الأزهريين غرباء

لا جدال في أن الأزهريين هم شرايين الحياة في ذلك الحي ،
وبفضلهم تحيا متاجر وتقوم أسواق ، ولكن هذا الفضل مجحود ،
لعله يحار في فهمها اللبيب . وقد كانت كلمة « مجاور » كلمة مدح ،
لأنها منقولة عن مجاورة الحرم النبوى الطاهر ، ثم صارت كلمة
هجاء ، بسبب التحامل على الأزهريين ، فاعجب لكلمة ينقلها سوء
العاملة من مدلول إلى مدلول ، بلا موجب معقول !

ومع أن الشيخ سعد زغلول كان يعرف أن حي الأزهر
حي غادر ختال ، فقد قهره الهوى على أن يطلب يد ابنة الجوهري ،
ليسلم من وقد هواه ، وليعرف كيف يقبل على دروس الأزهر
بمنابة والنفات . وهل من المحال أن يبقى ذلك الحي مرة في العمر
لمشرفيه من فتيان الريف ؟

تشجع الشيخ سعد فطلب يد ابنة الجوهري ، فردة
الجوهري برفق ، وهو يجهل ما ينتظر عمامة سعد من سيطرة
أدبية وسياسية على أبناء هذه البلاد

ورجع سعد حزين القلب ، كاسف البال ، وقد خاب أمله
في هواه إلى آخر الزمان ، ثم نظر فرأى أن الفرار من الحي

اليمين مشرفة الجبين ، ثم غض بصره بسرعة حين تذكر
أن ما زاد على النظرة الأولى حرام لا حلال

وما احتياجه إلى نظرة ثانية وقد رُسمت صورة الفتاة على
أنفاس قلبه رسماً جعلها أقرب إليه من متن الألفية ، وأوضح
من شرح ابن عقيل ؟

هل يُطل من النافذة فيراها مرة ثانية ليتأكد من التماثل
بين الصورة والأصل ؟

لا بأس ، ولكن الفتاة لم تكن تظهر في صحن البيت إلا عند
الأميل ، وهو الوقت الذى يعود فيه فتحي افندى من المدرسة ،
وهو شقيقه الذى صار فيما بعد فتحي باشا زغلول ، وكان الشيخ
سعد يراعى فتحي افندى ، ويعتمد الظهور أمامه بصورة الناسك
المتعبد ، ليصرف عنه سوء التلفت إلى النساء ، فقد كان يعرف
أن التلاميذ « الأفندية » ممرضون من هذه الناحية لأخطار
ترزُل رواسى الجبال

النظر إلى المرأة حرام ، فاحكم الشرع في سماع بُنام الملاح ؟
وإنما عرض له هذا الخطر الطريف ، لأن مناغاة الفتاة
لأزواجها كانت تداعب أذنيه من وقت إلى وقت ، وكان شديد
العجب من أن تكون لفتيات الحواضر أنغام لم يسمع مثلها
من بنات الريف ، أنغام تصنع بلبته ماتصنع الراح بألباب الشارين
ماحكم الشرع في هذه القضية ؟ أيسفتى أشياخه بالأزهر
الشريف ؟ أيرجع إلى مطولات الفقه بالكتبخانة الخديوية (١) ؟
لا هذا ولا ذاك ، وإنما اكتفى بوضع القطن في أذنيه عند
سماع ذلك البُنام إلى أن يقضى الله في أمره ما هو قاض

كان يمتنى أن تتاح النظرة الأولى مرة ثانية ، النظرة التى
يرمى بها الفتى عن غير عمد ، وهى حلال على أرجح الأقوال ،
ولكن آباءنا قبل ستين سنة لم يكونوا يسمحون لفتاة بالخروج
من البيت حين تصبح وهى فى نضرة الفصن الفينان ، فمن
المستحيل أن يظفر الشيخ سعد بنظرة بريئة من تلك الفتاة عند
الخروج لدروس الصباح ، أو عند الرجوع لتناول الغداء

وهل كان الفتى الأزهرى يصلى ويصوم يستبشع التطلع

(١) اسمها اليوم : دار الكتب المصرية

في الوصول إلى « مؤتمر السلام » قد يصرف عنه قلوب المصريين
وفي تلك الحفلة هُتِفَ عند دخول عدلى باشا بعبارة « تحيا وزارة
الثقة » ، وهُتِفَ لسعد باشا بعبارة « يحيا » الشيخ سعد
أما الحفلة الثانية فكانت ... أين كانت ؟

كانت في دار الجوهري ، الدار التي ردت سعداً خائباً قبل
أعوام تزيد على الحسين

وجرى المئات لسعد : « يحيا الشيخ سعد »

والتفت سعد باشا ذات اليمين وذات الشمال ، فرأى أنه
في أمان من ثرثرة السفهاء ، وأن الشيخ القديم لن يظلم الباشا -
الجديد ، وأن من حق الأزهرين أن يفتخروا به مشكورين
ثم التفت الرجل مرة ثانية ذات اليمين وذات الشمال ، وسمح
لصفيه بدستين محرقين ، هما التحية لهواه الذي ذهب إلى غير معاد
هذا سعد باشا خليفة الشيخ سعد ، ولكن أين بنت
الجوهري ؟ وأين مكانها في هذا الوجود ؟ أغلب الظن أنها ماتت
وإلا فكيف صبرت عن خلع العذار لتقبل الحبيب الذي انتصر
على مكاييد الزمان ؟

وأقام سعد في « بيت الأمة » يتلقى تهنئة الوفود بعودته -
سالماً من باريس ، وكان يمدُّ يده فيزع اللثام عن كل امرأة
تتمتع بالحجاب ، وكانت حجته أنه يؤيد رأى صديقه الحميم
قاسم أمين

ولعله كان يرجو أن يطلع عليه القمر الجوهري ، لو كان
للقمر الآفل طلوع

لقد حدثني النفس بزيارة دار الجوهري قبل أن أسطر هذا
الحديث ، ولكني خفت أن أضاف إلى المجانين
كان لي فيك هوّى ، يا دار الهوى ، فأين غرام سعد وأين
غرامى ؟

إن اعتدل الميزان فنسكتب على بابك العالى سطرأ يقول :
« هنا تهافت أحلام وقلوب »

وأين دار الجوهري ؟ لا تسألوها عن مكانها ولا تسألوني ،
فقد ناب عني وعنها أبو تمام حين قال :

لا أنتِ أنتِ ولا الديار ديارُ خفّ الهوى وتقصّت الأوطارُ
وأنت ، يا سعد باشا ، ما رأيك في هذا الحديث ؟ ألا ترى أنه
من أشرف ما يتصل بتاريخك الجميل

الأزهرى واجبٌ مفروض ، لينجو من غمزات الذين شهدوا
ردّه الأليم عن مناسك هواه . وأبناء الريف تؤذيهم ثرثرة السفهاء
لا بُدَّ من ترك الحى الأزهرى ، ولكن أين يذهب ؟
وماذا يصنع ؟

إن أباه كان يرجو أن يصير من علماء الأزهر الشريف ،
ومن أئمة الدين الحنيف ، فكيف يخلف ظن أبيه بلا تهيب
ولا استحياء ؟

ثم بدّله أن الكرامة الذاتية من مقاصد الكرامة الدينية ،
نفلح العمامة والجبة والتفطان ، ولبس الحلة الأفرنجية واحترف
الحمامة ، فأصبح وهو الأفوكاتو سعد أفندى زغلول ، بشارع
عابدين ، وأمسى مكتبه سامراً يلتقي فيه كرام الرجال
ولكن لوحة صغيرة كانت تُثير جواه حين يدخل ذلك
المكتب ، لوحة رُقِشَ في صدرها الأبيض هذا البيت :
وإذا دُعيتُ إلى تناسى عهدكم ألفت أحشائي بذاك شحاحا
ولم يكن بدُّ للقلب المجروح من دواء ، وهل يُداوى القلب
اللفظور بغير العمل الموصول ؟

سراً عامّ وعلماً وأعوام ، وسعدٌ يجاهد في سبيل المجد ليعرف
من ردّوه جاهلين أنهم أضاعوا « جوهرة » لن يرى « الجوهري »
مثلاً ولو أضاع العمر في البحث والتنقيب

ثم استجاب الله لدعوات والدّين الصالحين ، فاقترن سعدٌ
بفتاة كريمة الممّ والخال هي بنت مصطفى باشا فهمى رئيس
الوزراء في ذلك العهد ، وهي اليوم صفية زغلول أم المصريين ،
أسبغ الله عليها نعمة الصحة والعافية ، إنه قريبٌ محبب
وجاءت أيام في إثر أيام ، وتقلّ سعدٌ من حال إلى أحوال ،
إلى أن نفاه الإنجليز في سنة ١٩١٩ بسبب قضية الاستقلال

ثم سمح الإنجليز بأن يسافر من مالطة إلى باريس ليقنع
« مؤتمر السلام » بمدّة القضية المصرية إن استطاع

وعجز سعدٌ وأصحابه عن الوصول إلى قصر فرساي ، فرجع
إلى مصر وهو آسف غضبان

فاذا رأى بعد الرجوع ؟
أقيمت له حفلات في الحى الأزهرى ، أولاهما في دار
البكرى ، وقد فرح بها فرحاً عظيماً ، فقد كان يظن أن خذلانه

من معهد الاسكندرية إلى جامعة فاروق الاول للاستاذ محمد محمد المدني

أيها الجامعة الناشئة :

سلام الله ورحمته وبركاته عليك ، وهنيئاً لك هذا البدء السعيد لحياة أرجو أن تكون طويلة مباركة حافلة بالعمل والنشاط والإنتاج إن شاء الله !

أتدري من تلقين هذا الكتاب ؟ إنه من أخ لك لم تلده أمك الشابة الحسنة ، الشرفة على ضفاف النيل بالجيزة الفيحاء ، ولكن والده عمك أو جدك « الأزهر » ! ذلك الشيخ العجوز الرابض تحت سفح القطم منذ ألف عام ... أريد أن أهنئك من قلب مخلص صادق لم يداخله الحسد ، ولم يكدره التعصب ، بما تلقينه من عناية بك ، واهتمام بأمرك ... ثم أشكو إليك ما أجمّع أنا من غمص الضعف ، وما أذوق من ذل الغربة وويل الشتات (١) !

أنت الآن - أيها الأخت - في فترة من الزمان تغيطين عليها : لم تبدئي بعد عامك الدراسي الأول ، وأرى الدنيا عليك مقبلة ، والأيام عنك راضية ، والدولة إليك دائلة !

أنت كالعروس المدللة الأثيرة عند أهلها : يمدون لها ، ويتطلعون إلى يوم جلوسها ، ولا يدخرون وسماً في سبيل إرضائها ، وتهيئة الحياة السعيدة المترفة الناعمة لها ... وأهلك أغنياء كرماء قد عرفوا الحياة وأدركوا أسرارها ، ومروا على السير فيها بخطوات ثابتة جريئة متوالية ، حتى احتلوا المكان الأول ، ونالوا الحظ الأوفر ، وتركوا الخاملين المتخلفين من ورائهم ، يكادون يتميزون غيظاً وعموتون غمّاً !

هذه وزارة المعارف كثيرة الحركة دائبة النشاط :

(١) معهد الإسكندرية مقيم بدمهور بسبب الفارات على الإسكندرية ، وقد أدمج القسم الثانوي منه في معهد طنطا .

قد حشدت قواها ، وعبأت رجالها : تجميع لجانها ، وتنميط مجالسها ، وتكتب تقاريرها ، وتؤلف فيها الهيئات الفنية وغير الفنية ، ويسهر وزيرها ، ويدأب في السعي مستشارها ، وتشتغل الصحف والمجلات ودار الإذاعة بأمرها ... وكل ذلك من أجلك أنت - أيها الأخت - السعيدة ! ومن قبل شغل المجلسان في دار الندوة بهذا الأمر : تقبله بقبول حسن ، وأقرأه في مثل لمح البصر ، وأوسع له في البذل والعطاء ، ولم يضنا عليه بالحر من المال ، والعالي من المناصب ، والرفيع من الدرجات ... فاسعدي - يا أخت - بهذا العطف ، واهنئي بهذه الرعاية ، واستمتعي بمجد آلك ، واستطيلي نغماً بأسمائهم ، واستظلي مما عقدوه عليك بلواء من الأمن والطائنة والرضا ، واسلكي سبل العلم ، ولجج البحث ، ذللاً لأشواك فيها ، ولا عقاب تترض من دونها !

سيرى يا أختاه ببحان ثابت ونفس مطمئنة وصدر لم تقسده الوسوس ، ولم تحوم حوله الشكوك ، فقد وفك للدولة حقك ، وكفتك ما يهملك ، وجعلتك في يميني يديها حين جعلت غيرك في يسارها ومن وراء ظهرها !

معاذ الله - أيها الأخت الناشئة - أن أتطاول إلى مثل مقامك ، أو أمتي النفس بمثل منزلتك ، فإنما أنا معهد ثانوي صغير لا يزيد على هذه المدارس الكثيرة التي تعمل في خدمتك ، والتي ستمدك كما مدت أمك الزوم من قبل البنين والبنات ، ولست قريباً لك ولا ندّاً لخطابك ، ولكني أشاركك فقط في معنى واحد ، به أكتب إليك وبه أجتري عليك : أنا معهد الإسكندرية وأنت جامعة الإسكندرية ، ولقد كنت مثلك يوم نشأت منذ ثلاثين عاماً : كنت معهداً من المعاهد العليا عنت به الدولة يومئذ كما تعني بك الآن ، واختفلت به الأمة كما تحفل بك الآن ، وأسندت إدارته إلى رجل عبقري حازم لم تزل آراؤه وإصلاحاته وحمته ونشاطه مسك الأحاديث وعطر المجالس ، هو المغفور له الشيخ محمد شاكر ، وقال الناس عن كلامه كثيراً ، قالوا : هذا معهد الإسكندرية عاصمة مصر الثانية ، هذا هو « أزهر » الدولة الحميدة العلوية سينافس أزهر الدولة

الآن^(١) فبناها على نظام ثكنات الجيوش . نعم بنوها ، ولكن في أى مكان ؟ في « القبارى » موطن الصانع ومستودعات البترول و « مغالى » الخشب ، ومخازن السكك الحديدية وطريق الإسكندرية كلها إلى « السلخانة » ومدابغ الجلود !

« وفكر » الأستاذ الأكبر الراعى في أن يبني لى داراً لتلقى بمكانتى ، فأمر رجاله أن يرودوا الإسكندرية وضواحيها مكاناً مكاناً فرادوها ، وقيل للناس إنهم قد انتخبوا مكاناً فيها ، ثم انتهى الأمر بالمشروع إلى هذا الحد فكُتبت فيه تقارير أضيفت إلى سجل التقارير عن سائر المشروعات !

وليتنى بقيت في الإسكندرية حيث كنت ، ولكنهم حفظهم الله قد خافوا الغارات ، وقذائف الطائرات ، ففروا إلى من قضاء الله إلى قضاء الله . فهذه هى الصدمة الأخيرة التى حدثت لك يا أختى ، فإذا بدا لك أن تسألينى : كيف جاز لمعهد أزهري أن يفر من الإسكندرية قبل أن تفر مدارسها الابتدائية بل مدارسها الإلزامية ورياض أطفالها ، فإني أجيبك على البدهة بأن لنا معاشر الأزهريين فلسفة خاصة فى القضاء والقدر والصبر على التوازل والثبات للشدائد ؛ فلسفة تقضى علينا أن ننصح الناس بالرضا عن ذلك كله ، واحتمال ذلك كله وننسى أنفسنا ، وأن نبالغ فى نعي الناس عن الجزع والفرح ثم نخالفهم إلى ما ننهأهم عنه ! وقد يكون فى الأمر سر آخر لا أعلمه ولا أعتقد أنك حريصة على أن تعلميه ، وربما علمه فضيلة شيخى الجليل الناشط الأستاذ الشيخ أبى العيون . وبهذه المناسبة أذكر لك أن هذا الشيخ الناشط لا يباشر عمله فى إدارتى الآن منذ عام أو يزيد ، لأن الأزهري رأى أن ينتفع بنشاطه فى منصب من مناصب المفتشين « فى إدارته العامة » فإيا الله لمعهد قسمه الثانوى فى طنطا وقسمه الابتدائى فى دمهور ، وشيخه ومدير إدارته فى القاهرة بين المفتشين !

أيتها الأخت السعيدة : هنيئاً لك ، وعزاء لى .

أخوك

مهد الإسكندرية

« بطرف » جمعية المحافظة على القرآن الكريم بدمهور

محمد محمد المصطفى

(طبق الأصل)

المدرس بكلية العربية

الفاطمية ، وقد حققت لى الأيام بعض هذا الظن ، فكنت نموذجاً فى أساتذتى ، وكنت نموذجاً فى طلابى ، وكنت نموذجاً فى دراساتى ومطامى ، وخرجت رجالاً أئمة يكادون يستأثرون بالفضل فى كل ناحية من نواحي الأزهر الحاضر : فى العلم ، فى الخلق ، فى الإدارة ، فى الحزم ، فى الشجاعة ، ولكن الزمان صدمنى مرتين : فأما إحداها فيوم بدا لرجال الأزهر أن يعملوا معهداً كمعاهد الأقاليم فأصبحت معهداً ثانوياً كمعاهد طنطا وشبين وقتنا ، أعد أبنائى ، وأجدت فى تعليمهم وتنقيفهم وتهذيبهم وتقويم أخلاقهم ؛ حتى إذا سوبتهم فتيان علم وعمل وخلق كريم دفعت بهم إلى الأزهر ففرقوا فى لجته وضلوا فى تبهه . والأزهر كما بنى عنه التاريخ قوة خارقة غالبة تحيل الأشياء ولا تحيلها الأشياء : كم من رجال تأبوا عليه ثم خضعوا له من حيث لا يشعرون ، وأرادوا له صيداً فكانوا هم المصيديين ! وكم من علوم لم تهضمه ولكنه هضمها ، ورامت منه فأخضعها وأذلها ! وكم من أخلاق فيه تبدلت وملكات ثابتة تارجحت ! فإذا عليهم لو تركونى كما أنشأونى معهداً عالياً نموذجياً ولم تمتد أيديهم إلى ، إذن لكنت اليوم جديراً أن أكون قريباً لك بل منافساً شريفاً يحاول أن يسبقك فى ميادين العلم والبحث والإنتاج !

وأما صدمتى الأخرى فقد أصابتنى قريباً ، وكانت صدمة عنيفة زلزلت مكاني ، وقوضت أركانى ، وشطرنى شطرين رمت بأحدها إلى عاصمة القربية فزحمت به معهد طنطا ، واحتفظت بأبسر الشطرين فى دمهور فأقامته فى « كُتَّاب » لجمعية تحفيظ القرآن ثم قالوا عن هذا « الكُتَّاب » وأنا أكا أذوب خجلاً : هذا معهد الإسكندرية !

لقد أنزلوك على الرحب والسعة إحدى دورهم الفسيحة الأجزاء العالية البناء ، ولن تمضى عليك بضع سنوات حتى تكون لك مدينة جامعية فى رمل الإسكندرية تشرق على بحر الروم كما تشرق مدينة الجامعة الأولى على نهر النيل ، أما أنا فقد قضيت حياتى فى مكانين متباعدين فى مدينة الإسكندرية شمالاً وغرباً : أحدهما زقاق غير نافذ من أزقة السبالة تكتنف البيوت فيه دارى ، ويملو للباعة المتجولين فى كل صباح نجيج من حولى ؛ والآخر دار بنوها ، وكأنما كان مهندسها ينظر فى ضمير النيب إلى ما حدث

(١) تحتل القوات العسكرية آلاف بناء المعهد بالقبارى .

من وثبات العبقرية

نظام الضرائب في الاسلام

وهل ررعى فيه الوضوح والمهور:

للأستاذ على حسين الوردى

زمن طويل ، ثم اطمأن المنتجون إلى آثارها فهم ينتجون بعد أن يضعوا مقدارها في حسابهم وانحاً معيناً . وإذا كان السعر من جرائها مرتفعاً علم المنتجون بما يستطيعون بها من بيع وما يأتيهم بعد ذلك من أرباح . وعلى هذا يكون ميزان العرض والطلب في الميدان الاقتصادى هادئاً ، ومحتملاته المقبلة على شئ من الوضوح

أما إذا وضعت الحكومة ضريبة جديدة ، اختل هذا الميزان طبعاً وأخذ يترجح يمنة ويسرة ، لأن المنتجين تفاجئهم الضريبة فيضطرون إلى تحملها في أرباحهم أو إلى زيادة أسعارهم بها ، وفي كلا الحالين يطرأ الأرباك على سوق البضاعة : لقلة في العرض ناتج عن ضالة الأرباح ، أو لقلة في الطلب ناتج عن ارتفاع الأسعار هذا هو ما دعا الحكومات الرشيدة إلى الإبطاء في تبديل نظام الضرائب الجارى في بلادها وقصر التعديلات فيه على أقل حد ممكن ، لأنها تعلم خطر التغييرات المتعاقبة على النظام الاقتصادى المستقر على حالة راهنة^(١)

وإذا نظرنا إلى الإسلام نجد ضرائبه على قسط كبير من الوضوح والاستقرار ، ولعله قد فاق كل نظام في هذا الصغار ، إذ أن رسول الله قد وضع نظاماً ثابتاً للصدقات لا يتغير على مدى الأيام ، وما هو ذا جزءاً من الفقه يتدارسه المسلمون جيلاً بعد جيل ، وعند ما حدثت في الإسلام أوضاع جديدة احتاجت إلى أنواع أخرى من الضرائب كما حدث في عهد عمر ، وضع الفقهاء كما يننا سابقاً ضرائب جديدة أثرت من بعدهم وانبعث اتباعاً طويلاً وكأن الإسلام قد شعر بما يشعر به علماء اليوم من أن الضريبة القديمة ليست ضريبة An old tax is no tax^(٢) . فشرع للناس شرعة الضرائب الثابتة ، وهى ما كانت الأمم القديمة لا تعرفه ولا تهتم به

فلأرب في أن الملك في الزمن القديم كان ينفذ الناس بين كل آن وآخر بضريبة جديدة ، تبعاً لما كان يشعر به من حاجة إلى مال ، أو رغبة في ادخار

لقد وضع الاقتصادى الأشهر آدم سميث ، كما سبق ذكره ، أربع قواعد يجب أن تتوفر في الضريبة الصالحة : هى العدل والاقتصاد والوضوح والملاءمة^(٣) .

أما وقد انتهينا في مقالنا السابقة من بحث قاعدتى العدل والاقتصاد في الضريبة ، فقد بقى علينا أن نأتى إلى موضوع الوضوح والملاءمة فيها .

قاعدة الوضوح

يريد العلماء بالوضوح في الضريبة أن تكون الضريبة معينة في مقدارها وزمان جبايتها ومكانها ، بحيث يكون الناس على علم من ذلك كله فلا يبقى إذن مجال للزيادة والنقصان والتقديم والتأخير ، مما يؤدي إلى إساءة الاستعمال والاختلاس والإرهاق ، إذ ينتم الجباية فرصة جهل الناس فيستخلصون منهم ما لاحق لهم به والحكومات الحديثة تحرص على اتباع هذه القاعدة كل الحرص ، فنجدها تنشر على الناس الميزانية العامة في رأس كل عام ، ونحاول بكل وسيلة أن بطلع المكلفون على ما فرض عليهم من ضرائب لكي يعدوا أنفسهم وأعمالهم وأمواهم في سبيل ذلك ، ولكي يعلموا بشئ من اليقين ما تزيد به الضريبة على كلفة الإنتاج وما يبنى لهم من تقرير الأسعار وتهيئة العرض حسب الطلب المقبل .

ولقد قيل بهذه المناسبة إن القديم الخبيث من الضرائب خير من الطيب الجديد^(٤) . ويريدون بهذا القول : أن الضريبة القديمة ، جهما كانت سيئة ، فقد عرفها الناس وتعودوا عليها منذ

(١) أصول علم المالية العامة ، الدكتور زكى عبد المتعال سنة ١٩٤١ (الطبعة الأولى من ٢٠٠)

(٢) Public Finance, Bastable (الطبعة الثالثة ، لندن ،

١٩٢٧ ، من ٤١٩

(٣) Justice, Economy, Certainty, Convenience.

(٤) موجز في علم المالية ، فارس الحورى (ص : ٢٠٤) (مطبعة

الحكومة بمشق ١٩٢٤)

تجبي الضريبة بطريق الالتزام ، لأن الملتزم الذي يتقبل جباية الضريبة على مقدار معين من المال ، يرغب دائماً في أن يستفيد من غموض الضريبة ، أو جهل الناس بها ، وهو قد يتوخى نعمة الأمر ليتسع له مجال ابتزاز المال منهم تحت ستار من القانون !

وفي الحقيقة أن الحكومة مهما حاولت توضيح الضريبة للناس ، فلا بد أن يبقى ثمة كثير من البلهاء الجاهلين

- وهذه السيئة هي التي جعلت الحكومات الحديثة تتجنب —
- جهد الإمكان — منح الجباية إلى الملتزمين
- هذا ، والالتزام — فضلاً عن ذلك — مخالف لقاعدة الاقتصاد في الضريبة :

فلقد قلنا فيما مضى : إن الفرق بين ما يخرج من جيوب الدافعين ، وما يدخل إلى خزينة الدولة ، يجب أن يكون أقل ما يمكن ، لكي يتوفر في الضريبة عنصر الاقتصاد

- وفي جباية الضريبة عن طريق الالتزام ، يحاول الملتزم أن —
- يجبي لنفسه أكبر مقدار ممكن ، لكي يوفر لجيبه الفرق العظيم بين ما يؤدي للحكومة وما يجبي من الناس ، ونجده لذلك يعذب الناس باسم الحكومة ويرهقهم إرهاقاً

وقد تضحك يا سيدي القاري إذا علمت بما صنع عبد الله ابن العباس رجل جاء إليه فقال : أتقبل منك الأبلّة بمائة ألف . فضربه ابن عباس مائة وصلبه حياً^(١)

من هذا نعلم أن الإسلام كان يفيض الالتزام كل البفض ، ويحرمه كل التحريم . وإليك ما قال أبو يوسف في هذا الشأن يوصي به الخليفة هرون :

« ورأيت ألا تقبل شيئاً من السواد ولا غير السواد من البلاد فإن التقبل (الملتزم) إذا كان في قبائله فضل عن الخراج عسف أهل الخراج وحل عليهم ما لا يجب عليهم ، وظلمهم وأخذهم بما يحجب بهم ليسلم بما دخل فيه . وفي ذلك وأمثاله خراب

وبهذه المناسبة نود أن نطلع القاري على طريقة في الجباية كانت مستعملة في الزمن القديم ، ولا تزال بعض الدول اليوم تعتمد عليها أحياناً ، تلك هي طريقة التوزيع Apportional ، ويلاحظ فيها أن الحكومة لا تمنين نسبة الضريبة في قانون ثابت ، حيث تؤخذ من الفرد كل سنة كما تقتضى قاعدة الوضوح إنما تمنين الحكومة مقدار حاجتها من المال في رأس السنة المالية ثم تقسم هذا المقدار على الولايات لتؤدي كل منها حصتها المتناسبة من الضريبة العامة . وحاكم الولاية بدوره يفرض على أفراد ولايته ما يشاء من وزعة ، إذ هو مسؤول على وقاه ما تطلب منه الحكومة المركزية بكل وسيلة

حقاً ، إن هذه الطريقة سهلة الإدارة واضحة المعالم بالنسبة للحكومة ، لكن فيها ظمناً وفيها غموضاً بالنسبة لدافع الضريبة ، ذلك لأنه لا يعرف مقدار الوزعة التي تؤخذ منه كل سنة ، فهي تختلف عاماً بعد عام

فإذا كانت حاجة الحكومة كبيرة في إحدى السنين ، أُرهِق الفرد في دفع حصته من ذلك من غير اهتمام كبير في ما ينتج الفرد أو يستطيع ؛ ولذلك يبقى حائراً في كل حين ، لا يدري مقدار الوزعة التي ستفرض عليه ، ولا يقدر إذن أن يتضح أثرها الاقتصادي في تكاليفه المقبلة وأسعاره

أما الإسلام ، فلا نعلم أنه لجأ مرة إلى مثل هذه الطريقة ، وكل الذي نعرفه في هذا الموضوع ، هو أنه كان يوصي عمال خراجه وصدقائه دائماً بالرفق والعدل من غير اكترات بالمقدار الذي يستحصلونه بعد ذلك . وقد قال أحد العمال للى بن طالب عندما أوصاه بالرفق : يا أمير المؤمنين ، إذن أرجع إليك كما ذهبت من عندك (يعني من غير جباية) ؛ فأجابه على : وإن رجعت كما ذهبت ... ويحك ! إننا أسرنا أن نأخذ منهم العفو (يعني الفضل^(١))

وقاعدة الوضوح هذه تكون واجبة أشد الوجوب عندما

(١) الخراج ، يعني ابن آدم القرشي (الطبعة السلفية ١٣٤٧م ص ٧٥)

(١) الأموال ، القاسم بن سلام (ص ٧٠) تصحيح محمد حامد الفقي ١٣٥٣ .

ليأتهم على مياهم حتى يصدقها هناك ، وهو تأويل قوله على مياهم وبأفئتهم^(١) »

أما وقت الجباية فيجب أن يكون في الحين الذي يستعمل فيه المكلف دفع الضريبة أو عند ما تتوفر لديه النقود بعد حصاد زرع أو بيع بضاعته

سأل عمر واليه على حصص سعيد بن عامر بن حذيم : مالك تبطل بالخراج ؟ فأجابه أمرتنا ألا نزيد الفلاحين على أربعة دنانير فلستنا نزيدهم على ذلك ولكننا نؤخرهم إلى غلاتهم . فقال عمر : لا عزلتك ما حيت^(٢)

قال الإمام أبو عبيد القاسم : « لم يأت عن رسول الله أنه وقت للزكاة يوماً من الزمان معلوماً ، وإنما أوجبها في كل عام مرة . وذلك أن الناس تختلف عليهم استفادة المال ، فيفيد الرجل نصاب المال في هذا الشهر ، ويملكه الآخر في الشهر الثاني ، ويكون الثالث في الشهر الذي يمدّها . ثم كذلك شهور السنة كلها . وإنما تجب على كل واحد منهم الزكاة في مثل الشهر الذي استفاد فيه من قابل . فاختلفت أوقاتهم في محل الزكاة عليهم لاختلاف أهل الملك . فكيف يجوز أن يكون الزكاة يوم معلوم يشترك فيه الناس ... »^(٣)

حقاً لقد كان الإسلام رفيقاً بدافى الضرائب كل الرفق موصياً بهم أجل الإيضاء . أنظر إلى علي بن أبي طالب يومى عامله على مصر في أهل الخراج : « ... فإن شكوا ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أوجف بها عطش ، خففت عنهم بما ترضون أن يصلح به أمرهم . ولا يتقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم فإنه ذخر يعودون به في عمارة بلادك ، وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم ، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم ، معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم^(٤) ... »

البلاد وهلاك الرعية . والتقبل لا يبالي بهلاككم بصلاح أمره في قبائله . ولعله أن يستفضل بعد ما يتقبل به فضلاً كثيراً ، وليس يمكنه ذلك إلا بشدة منه على الرعية ، وضرب لهم شديد وإقامته لهم في الشمس ، وتعليق الحجارة في الأعناق ، وعذاب عظيم ينال أهل الخراج بما ليس يجب عليهم من الفساد الذي نهى الله عنه . إنما أمر الله أن يؤخذ منهم العفو ، وليس يحل أن يكلفوا فوق طاقتهم ... »^(٥)

قاعدة المهور

ويسمى بعض المؤلفين بقاعدة الرفق والسهولة . يقول فيها آدم سميث : تجب جباية الضريبة في الزمان والمكان وبالطرق الأكثر ملاءمة للمكلف^(٦)

وهذه القاعدة لم يكن معنياً بها كثيراً لدى الأمم القديمة ، ذلك لأن علاقة المصلحة بين الحكومة والفرد لم تكن متبادلة أما الحكومة الحديثة فقد بدأت تشر بأهميتها في حياة الأمة ، وبآثارها في الإنتاج العام . واليوم ينصح علماء المالية بأن الجباية يجب أن يذهبوا بأنفسهم إلى حيث يجبون الضريبة في الأماكن التي يختارها المكلف ، وليس يجاز أن يتخذوا لهم المكان المطنين ويأمرون المكلف بحلب الأموال إليهم وهم ناعمون ...

والإسلام قد نظر في الأمر نفس هذه النظرة ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا جَلْب ولا جَنْب ولا شَنار في الإسلام ، ولا تؤخذ صدقات المسلمين إلا على مياهم وبأفئتهم^(٧) »

يقول الإمام القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هجرية في شرح ذلك : « ... لا ينبغي للمدق (الجاني) أن يقيم بموضع ثم يرسل إلى أهل المياه ليجلبوا إليه مواشيهم فيصدقها ، ولكن

(١) الأموال لأبي عبيد القاسم (ص ٤٠٥)

(٢) الأموال لأبي عبيد القاسم (ص ٤٤)

(٣) الأموال لأبي عبيد القاسم (ص ٥٩١)

(٤) نهج البلاغة ، شرح الإمام محمد عبده (مطبعة الاستقامة ص ١٠٧)

(٥) الخراج ، الإمام أبو يوسف (الطبعة الثمانية ١٣٤٩ ، ص ١٢١)

(٦) Wealth of Nations, Smith (الكتاب الخامس ، الفصل

الثاني ، البحث الثاني)

(٧) الأموال لأبي عبيد القاسم (ص ٤٠٤)

وزارة المعارف العمومية

إعلان

تعلم الوزارة عن حاجتها لمدرسين
بالمدارس الصناعية في الاختصاصات
الآتية :

أولاً - مدرسو ومهندسو كهرباء
من خريجي مدرسة الهندسة التطبيقية
نظام حديث أو قديم قسم هندسة الكهرباء
ثانياً - مدرس مباني من خريجي
مدرسة الفنون والصناعات نظام قديم
قسم هندسة المباني (من خريجي المدارس
الصناعية قسم السمكرة والأعمال الصحية)
ثالثاً - مدرس غزل على أن تبين
المؤهلات في الطلب

ويشترط في المرشح أن يكون
قد قضى سنتين على الأقل في التمرين
في اختصاصه في إحدى المصالح أو
الشركات المعروفة

وتقدم الطلبات للوزارة على
الاستمارة رقم ١٦٧ ع . ح في ميعاد
لا يتجاوز يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٤٢ على
أن يبين بها الخبرة العملية وعلى أن يرفق
مع الطلب ما يثبت خبرته ومدتها . وإذا
كان الطالب موظفاً بإحدى المصالح
الأميرية فليبه أن يقدم طلبه بواسطة
المصلحة التابع لها

ملاحظة - سوف لا ينظر إلى
الطلبات السابق تقديمها قبل هذا
الإعلان

٩٧٠١

تلك تعاليم سامية بلا ريب وهي مطابقة لما على قاعدة الرفق
والملازمة ولما يُبلِّغ على اتباعه علم المالية العامة إلحاحاً .

ولا مرء في أن الإسلام قد شرع للناس شريعة الضرائب
الصالحة في الزمن الذي انغمس فيه العالم في دياجير الظلم ، وانحطت
فيه الروابط الاجتماعية والاقتصادية انحطاطاً عظيماً .

وكان الإسلام قد جاء بتجربة اقتصادية كبرى برهنت للناس
بالبرهان الحسي على أن العدل أساس الملك حقاً ، وأن الرفق أولى
بإنماء الجباية من التعسف والتكالب .

فقد يأخذنا العجب حين نرى الجباية قد بلغت - على
عهد الإسلام - مبلغاً لم يحلم به القياصرة والأكسرة ،
وهم الذين كانوا يستنزفون أموال الناس بالباطل ، وهم على
زعمهم غافلون .

بلغت الجباية على عهد الأمويين - حسب قائمة ابن خلدون
التي أوردها في تاريخه - ما يناهز الأربعمئة مليون درهم عدا
الحيوانات والسلع والعروض ، وهي أموال طائلة لا يجوز
مقارنتها بعملة اليوم لأن الدرهم كان حينذاك ذا قوة شرائية
كبرى (١) .

ولا يخفى أن هذا المبلغ كان حصة الخزينة المركزية الخاصة
بالخليفة ، حيث تأتي إليه خالصة بعد الإنفاق على إدارة الحكومات
المحلية وإعانة الفقراء فيها . هي حصة الخليفة وحده يتصرف بها
كما يرى في تدبير الشؤون العامة . فياليت شعري كم هو مجموع
الجباية العامة إذن قبل الإنفاق !

هذا مع العلم أن أقصى ما وصل إليه مجموع الجباية العامة
عند الرومان في عتقوان مجدم لم يتجاوز الأربعمئة مليون درهم (٢)
وهم الذين كانوا في دقة القانون وبراعة الإدارة مشهورين .

أليس في هذا حجة بالغة على أن العدل أساس الملك ، وأن
الرفق أولى من التعسف في إنماء الجباية .

في حسين الوردى

كاظمية - مرق

(١) موجز في علم المالية ، فارس الخورى (ص : ٢٣)

(٢)

المساهمة والشركة في مصر

لتاسعة ذكرى وفاة « طلعت غرب »

للأستاذ عبد الله حسين

—•••••—

في يوم الخميس ١٣ أغسطس احتُفل بالذكرى الأولى لوفاة الزعيم الاقتصادي الكبير المغفور له محمد طلعت حرب باشا ، المؤسس الأول لبنك مصر وشركاته المساهمة المعروفة . ولقد كان مما يتفق وطبائع الأمور ، أن يعرض المحتفلون بهذه الذكرى ، والعززون والجاهلير التي عرفت « طلعت » ، أو استمتمت إلى أحاديثه وخطبه ، أو وقفت على آثاره وأعماله وتصرفاته ، إلى بنك مصر وشركاته ، وما يتصل بها من خطا ، وما تعرضت له من أزمات ؛ وكان من الطبيعي أيضاً أن يكون للفقيد — شأن كل عظيم وعصامي ومبرز — الأصدقاء والحساد والأعداء ... والخصومة للعظيم — وخاصة لمن بلغ منزلة « طلعت » — لا تنقض من مكانته ، بل لعلها تزيد منزلة ، وتُجَلِّي على الأيام فضائله وشماله . ذلك أن النقد وحده هو الذي يستطيع أن يكشف عن اللؤلؤة الصحيحة من دفتان المادان

لست أريد أن أتناول هنا ترجمة حياة الفقيد ، ولا أن أقوم ببحث في شؤون الشركات الوطنية ؛ وإنما حسبي أن أعرض لأشياء تحدث بها أناس منذ أعوام ثلاثة ، وكان من وراء هذه الأحاديث ذلك القانون الذي صدر في العام الماضي يدعم بنك مصر وتقوية الروابط بينه وبين الحكومة

كانت هذه الأشياء من المسائل التي بالغ حساد « طلعت » وخصومه في الخفض من مكانته ، والنقض من شأوه ، وفاتهم يادى ذى بدء ، أن « طلعت » كان رجلاً ، وكان مجرباً ، وكان بادئاً ، وكان بشراً ، وكان يعمل في بيئة لم تُسَمِّه من قبل ... كل هذا قين أن يدعو إلى شيء من الخطأ والتراخي والتشاؤم . ولقد كنت أشفق من هذه الأشياء ، وكنت أخشى أن تعدو من جرائها المواد على البلاد والشروعات الوطنية

غير أنني بعد أن هدأت العاصفة ، وقضى « طلعت » ، راجعت نفسي ، وشئت أن أكون في منزلة القاضي ، يفصل بالحق ، ويورد في حيثيات حكمه الأسباب التي يتألف منها اعتقاده ، والمقدمات التي انتهت إلى رأيه

أراد « طلعت » — حين فكر وحين مضى يحقق ما فكر فيه — أن يستعين في مشروعه بالعناصر التالية :

١ — « الأعيان » : للإفادة من أموالهم في الاكتتاب رأس المال ، ثم يجذبهم إلى نقل مودعاتهم من البنوك الأجنبية إلى البنك الوليد

٢ — « الحكومة » : بوزاراتها ووزرائها وكبار موظفيها . لكي تكون يبدأ مع المشروع وما تفرع عنه من الشركات ، وذلك بأن تودع أموالها البنك ، وبأن توصى بتفضيل منتجات شركاته وما إلى ذلك من مزايا

٣ — « الصحافة » : للدعوة والدعاية والتخفيف من المهاجمة أو النقد ، إذ أن المشروع جديد ومالى يتأثر بالنقد السريع

٤ — بالجمهور — عامة ، وخاصة — الطلبة والشباب :

فإذا كان قد حدثت أشياء غير صالحة ، فإن منجم ذلك هو العيوب التي نشهدها في تصرفات الأعيان والحكومات والمصالح الأميرية وبعض الصحافة والجمهور . ذلك أن كل عنصر من هذه العناصر ، حسب أن له حقاً على طلعت أو على البنك ، بأن يترخص وأن يتسامح فيما لا يجوز الترخص والتسامح فيه . فإذا وقف طلعت موقف الحزم ، غضب طلاب المنفعة ؛ وإذا تسامح — وهذا ما كان يؤثر طلعت دفعاً للكيد — استتبع هذا ألواناً أخرى من التسامح ، بالاستزادة من الأقراض والتراخي في الأداء . والرجل يريد أن يرضى جميع الحكومات خشية أن يقال إنه حزبي ، على حين أن مشروعاته مستقلة وواجب أن تكون مستقلة عن الأحزاب السياسية والتجارية والشخصية .

وعندي أنه إذا شئنا أن نتق ما حدث من الأزمات والأخطاء ، أن نحصى قدماً في علاج شئوننا ، فنعرف أين يبدأ حقنا وأين ينتهي عند حق غيرنا من بنك أو شركة أو مساهمة أو مصلحة عامة . علينا أن نفرق بين منافعتنا الخاصة وبين المصالح العامة . بل علينا أن نعرف كيف نضحي منافعنا الخاصة لنصلح شئوننا العامة . فالجمالة والتسامح (سياسة معلش) والتراخي والاستغلال الخفير للنفوذ هذا كله مخرج العيوب في مشروعاتنا ومساهماتنا وشركاتنا . فإن أصلحتنا ، صلحت أداؤنا المالية والاقتصادية ، وأدركنا أن الداء فينا وعلاجه بين ظهرانينا ، وأنصفنا الموتى من الأحياء

بسم الله هيب

نحن في صراع دائم

للأستاذ حسين الظريفي



الرفائب وتتصادم ، ويعلو بعضها علي بعض درجات وطبقات ، وكل رغبة منها تريد بلوغ القمة والخروج من الزاوية إلى النافذة ، لتلقى النور ، وتعرب عن نفسها بأعمال الجوارح ؛ ولكنها لا تكاد تصل السلم حتى تجد عليه رقيباً عتيداً يدفع بها إلى الحضيض . وهكذا تبقى الرفائب حية في القبر تتنازع وتتصارع والريب يأبى عليها إلا أن تنحدر إلى ما وراء مجرى الشعور ، مهما استحر هناك القتل وطال عليه الأمد . وما ذلك الريب إلا الضمير

فالرغبة الجامحة تصدم بقوة الضمير ، فيضغط عليها حتى تنحدر إلى قاع النفس وتستقر فيه ، غير قانطة من بلوغ منطقة الوعي من العقل وفرض نفسها عليه ، وتحريك الجوارح به وفق ما تريد .

وما دامت الرفائب محجوراً عليها في قرارة النفس ، فإنها تبقى في نزاع لا يهدأ ، تستنفذ فيه ما هي بحاجة إليه مما نملك من طاقة . ونحن إن لم نشعر بجلبة هذا الصراع في داخل النفس فإن تأثرنا به ولا ريب كبير . وقد تبلغ شدة التنازع بين الرفائب إلى حد تتلع فيه كل نشاطنا ، حتى نظهر وكأننا لا نملك شيئاً من قوة الاندفاع إلى العمل وتجعلنا مظاهر التردد والحول .

إن الرغبة المقموعة تريد حرية التصرف فيأبى عليها العرف الاجتماعي إلا أن تقهر ، حتى إذا كثرت الرفائب المقهورة واستطال عليها الزمن بلغ التنازع فيما بينها ذروته وأصبحنا ونحن من أنفسنا في ساحة حرب تضيق فيها الجهود سدى . ذلك لأن من طبيعة الرغبة أن تمتلك حرية الاستمتاع بالإرادة ، فإذا هي قهرت وانحدرت إلى ما وراء الشعور ، اتخذت لنفسها هناك موقفاً عدائياً لكل رغبة فيه ، تليدة أو جديدة ؛ حتى إذا ازدادت الرفائب وتمادت على ما هي فيه من تكالب على الظهور ، نشأ عندنا ما يغير عنه بالقلق الداخلي أو النفسي ، ونحن في مثل هذه الحالة لا نشعر إلا بذلك الشعور الغامض المميق الذي تسودنا فيه بلبلة الفكر فلا نعرف ما ينبغي أن يدرك أو يترك . وبهذه الحرب الدائرة بين مختلف الرفائب نستهلك الكثير مما نملك من طاقة عصبية وذهنية ، فيبدو احتياجنا إلى مثل هذه الطاقة في أعمالنا وحياتنا الأخرى ، ونظهر وكأننا عاجزون .

كان يعتقد في العقل أنه ليس إلا ما تمل به علينا تجارب الحياة ؛ فالطفل يولد ولا عقل له ، حتى يأخذ عن الوسط ما هو فيه ، ويظل رهين شروط حياته الخاصة والعامة بلا حد ولا أمد ، ومن شب عن الطوق وتفرّد عن المجموع فقد أوتى حظاً كبيراً تلك كانت نظرة العلم إلى العقل من حيث يظهر ومن حيث يتطور . غير أن قفها تخفضت عنه بداية القرن الحديث ، نظر إلى هذا العقل الذي يولد بعد الولادة ويظل محدوداً في نموه وسموه بين المهد واللحد ؛ فأحاط به ثم تجاوزه إلى ما وراءه فأيقن أن هناك عقلاً باطناً يكمن وراء عقلنا الظاهر أورتتنا إياه قرون تتصل بأول الخليقة ؛ فهو ميراث ماضينا من حيث يبدأ إلى حيث يتصل به حاضرنا الذي نحن فيه ، ولا تزيد الأحقاب إلا شدةً ومداً

وقد أسفرت بحوث العلم عن إثبات ما لهذا العقل الكامن من الأثر البالغ ، في تلوين النزعة والفكرة والإرادة واقتيادها إلى حيث يريد ، على غير شعور منا بما نفعل وما لا نفعل

إن موضع القوة في هذا العقل قائم وراء ما له من مظهر الخفاء ؛ ففي غفلة عما نعيه ونستريحه من شئون عقلنا الشاعر ، يقوم العقل الباطن بمعمليات التفاعل حتى تنبث من أعماقه كلته الأمرة أو الزاجرة فتدين لها الجوارح . ونحن لا نرى ما يدبر ويقرر إلا ذلك الأثر الذي تقوم به ، غير شاعرين بالبواعث

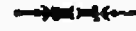
إن قوة العقل الباطن آتية مما يبطن في فعله وانفعاله ، في ذات نفسه وفيما وراءه من عقل واسع محيط به الظروف والوقائع . فالرغبة فيه خفية يضغط عليها ما تواضع عليه الناس من عرف وتقليد . والحركة فيه قائمة دأمة ولكنها في قمر غير قريب ، وما أقول باستحالة الوصول إلى قاعه البعيد . ولكن دون ذلك أهوال

هناك حيث لا يصل سمع ولا بصر ، إلا ما ندر ، تردم

كتاب الامتاع والمؤانسة

مول نقر الأب أنستاس الكرملي

للأستاذ محمود البشبيشي



(رؤوساً - يبدؤا - مشؤوم) والقاعدة المأثورة تنص على أن (كل همزة بعدها حرف مد من جنس حركتها ترمم مفردة كما في (رؤوس ويبدؤا) أو على نبرة إذ لم يمكن فصل ما بعدها عما قبلها كما في (مشؤوم). وهذا ثابت في كتب الإملاء (رسم الحروف)، وقد يكون فيها رأى آخر، ولكن صحة رسمها على الصورة التي خطأها أمر لا شك فيه

٢ - اللفظ

خطأ قولهم (نم وكرامة) ورأى أن الصواب أن يقال : (حياً وكرامة) والعبارتان صحيحتان، ولكن الجهة منفكة كما يقولون؛ فقد ورد في المحيط (أقل هذا وكرامة لك)، وفي الأساس كذلك على معنى (وأكرمك إكراماً) فالكرامة هنا مصدر، وفي قولهم (حياً وكرامة) اسم ذات؛ فكل منهما في موضعها صحيحة

٣ - الصرف

خطأ (المسكن) بفتح الكاف ورأى أن الصواب الكسر مع أن القياس الفتح والمحيط والمصباح ينصان على جواز الفتح

قرأت ما كتبه العلامة الأب أنستاس في «الرسالة» الفراء ناقداً لطبعة كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدى، وقد دفعنى حب الإنصاف والغيرة على الحق والرغبة في تجميع المسائل اللغوية إلى كتابة هذه الكلمات مخالفاً فيها الأب أنستاس في بعض ما أورده من النقدرات؛ ويقتضى أنه لا يضيق صدرها بها، فهو من رجال البحث الذين لا يبنون من وراءهم إلا الحقيقة وحدها :

١ - رسم الحروف

خطأ الأب أنستاس كتابة (رؤوساً . يبدؤا . مشؤوم) بصورتها الحاضرة، ورأى أن الصواب أن تكتب هكذا :

في الوقوف على تطورات هذا الصراع وما يستخدم فيه من معدات الزوال والقتال، ويود كل امرئ لو يعجل يبدأ الحركة الفاصلة، وانتصار التفريق فيها على القمع والإرهاب ونشير إلى أن لنا من صراع الرغائب في عقلنا الواعى مثلاً متناهياً في الصغر قد يفسح - ولو من طرف خفى - عن هول المارك التي تدور في منطقة العقل غير الواعى، وتلقى خافت الذور على مالها من مركز ثقل دائم فيما ندرك وما نترك. وفي الواقع أن الرغائب المتناقضة لا يندر وجودها في ساحة العقل الشاعر، فقد تنازعنا الرغبة في الراحة وفي الاستمرار على المطالعة، ونقف لحظة قد تطول وقد تقصر بين هاتين الرغبةيتين حتى تتغلب الواحدة على الأخرى فنجيب تلك دون هذه؛ غير أن الشأن في صراع العقل الباطن يصل إلى مدى يضيق عن تصوره خيال الشاعر المبقرى؛ ونحن بعد ذلك لا ندرى من أمره شيئاً إلا من أوتى حظاً غير قليل من علم النفس الحديث

محمود الظرفي

إن مجهودنا المصعب محدود بقدر، فإذا نحن لم نحسن التصرف فيه ونضمه في موضعه الذي يجدى ظهر عجزنا عما خلقنا قادرين عليه. وما استفاد هذا المجهود في صراع الرغائب إلا كذلك الجيش الذي اقتتل أفراداه قبل منازلة العدو فأبدي بأيديه، والتارق هنا أن قتال الرغائب لا يزول ولا يقتر وإنما يزيد الأيام حدة وشدة، ويختلف مصير المصاب به باختلاف قوة احتماله لهذا العبء الثقيل.

والرغبة لا تقتل مهما استطال زمن جهادها وجلادها في سبيل استملائها على أخواتها من الرغائب، ولا يدركها الفناء مهما امتد بها عهد المكوث في باطن النفس، حيث لا يصل وحى ولا شعور، وإنما تبقى في القاع تفعل فيما فيه وتتفعل به، حتى تنفجر من النفس فتثور وتظهر بأعراض قد تصل إلى حد الجنون، أو تحتال على الوعى، بالمرض تارة وبالمظهر صرة أخرى، وتخدعه عن نفسه وتظهر فيه

كل أولئك بفضح لنا عن مدى ضراعتها، ويسمينا الرغبة

إني لأذكر ما دار بينه وبين الدكتور زكي مبارك حول هذا الموضوع في مجلة (أبولو) وأعلم رأى الأستاذ الجليل الشيخ عبد القادر المغربي في تخرّيج عبارة أبي العباس التي وردت في (الكامل) وتمسك بها الأب أنستاس، ولكنني أرجو أن يزيد الرأى إيضاحاً، والحقيقة بنت البحث.

وخطأ الأب أنستاس هذه العبارة من الاستقصات الأربع جارياً على أن (الاستقصى) مذكّر فيجب تأنيث العدد بالتاء خضوعاً للقاعدة الشهيرة (تذكير العدد مع المؤنث وتأنيثه مع المذكر). وهنا أكتفي بإيراد نص عبارة تواردها عليها (الصبيان والخضرى) في باب العدد وهي :

(محل وجوب هذه القاعدة إذا ذكر المعدود بعد اسم العدد، فلو قُدّم وجعل اسم العدد صفةً له جاز إجراؤها وتركها كما لو حذف. تقول مسائل تسع ورجال تسعة وبالعكس كما قبله السؤوى عن النحاة)، ثم يقول الشيخان فاحفظها فإنها عزيزة النقل

وبعد فإني من القرن للأب أنستاس بسعة العلم وغزارة الفضل.

(النصورة)

محمد البشيتي

الاثنين القادم

على سرح الحياة

تمثيل
جسين رياض
روحيه خالد
زيت صديقي
انور وجدي

مع كبريتة في سرح الحياة



سينما تويو مصر

والكسر معاً. وخطأ ضبط الدال الأولى من (جُدد) جمع جديد بالفتح والقياس يساعده ولكن ورد في الصباح ص ٩٥٩ الطبعة السادسة لسنة ١٩٢٥ بالمطبعة الأميرية بالقاهرة قوله : (بعض بني تميم يخفف الجُح في نحو سُرر وذلّ بفتح العين (الحرف الثاني) وطرّد بعض الأئمة ذلك في الصفات فيقال : (ثياب جُدد). ولا أدعى أن الفتح كثير، ولكنني أراه وجهاً أقره بمض الأئمة للتخفيف ونطق به من يوثق بعريتهم فالتخطئة المطلقة هي محل الخلاف

٤ - الرواية

خطأ رواية بعض أبيات لأعشى باهلة في رثاء أخيه المنتشر فقال ما معناه : الصواب أن يقال : (أحوى نوءها الطر) بدل (أخطأ نوءها الطر) وأن يقال : (لا يضعف الأمر) بدل (لا يصعب الأمر ...) ولتمام الإيضاح نورد البيتين كما أوردهما الشيخ حمزة فتح الله في المواهب الفتحية (الجزء الثاني) ونصهما : ينمي امرأ لا تقب الحى جفتته

إذا الكواكب أخطأ نوءها الطر

لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه

وكل أمر سوى الفحشاء يأتمر

وظاهر من سياق الكلام أن رواية المواهب صحيحة وقد أخذ بها الناشران وإن المعنى عليها لا غبار عليه ؛ وإذا فلا معنى لهذه التخطئة

٥ - النور

لا يزال الأب أنستاس مصمماً على وجوب جمع (أفعل وفعلاء) إذا كانا وصفين على (فعل) ولهذا خطأ قول الناشرين (حجارة ملساء) وأوجب أن يقال (حجارة مُلس). ولنا أن نطلب إلى حضرته نشر خلاصة رأيه الذي أوده في (مجلة الجمع العربي) ليكن أن يبحث في روية. ونحن مع تسليمنا بأن هاتين الصيغتين لم تردا في الفصح إلا بمجموعتين على (فعل) نستطيع أن نحكم بجواز استعمال الوصف بهما مفرداً قياساً على قولهم : « إن الجمع بمعنى الجماعة فيجوز وصفه بالفرد » ولذلك شواهد لا تحصى، والأصل عدم المنع إلا بنص قاطع ؛ فهل عتب الأب أنستاس ذلك النص ؟

عدنا... والتقيننا

المؤسّس الكبير عباس محمود العقاد

التقيننا

والتقيننا

عجبا كيف سمحونا ذات يوم فالتقيننا
بعد ما فرّق قطران وجيشان يدينا
فتصالحنا بحسينا وعدنا فالتقيننا

بعد عصر

أى عصر

والنوى تجرى وسر الحب فى الأكون يجرى
ثم نادانا تعالوا فاهبطوها أرض مصر
ففى الأمر كما شاء ، فعدنا والتقيننا

كم بكيت ؟

واشتكيت

ثم ألهمت على النيب فأصغينا وقلت :
قلت فى السابع والعاشر من شهر سيأتى
ها هنا سوف ترانى ، فرأينا والتقيننا

يوم ذكرى

هو أخرى

بالتقاء كلما دار به الحسول وأسرى
فى سماء تهر الشعرى وتدنى كل شعرى
كيف يلتاقا وحيدين غداً فيه التقيننا

قبل عام

ثم عام

كان يوم ، أئى يوم ، فى صفاء وابتسام
يوم لاقى الحب لحظينا على عهد الدوام
فتعاهدنا وقلنا : كلما عاد التقيننا

وتدائى ...

وكلانا

زائع الطرف ينسجى الأفق قلباً ولساناً
ثم ماذا ؟ ثم كنّ يا بُدلى قرباً ، فكانا
واستعان الحب بالداء حليفاً ، فالتقيننا

كم غرام

وسقام

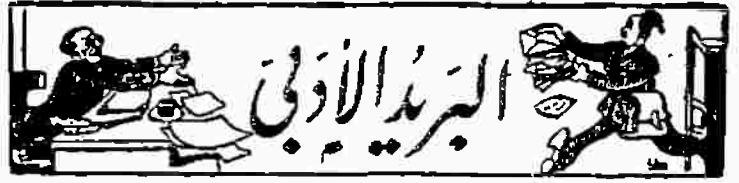
عرفنا الحلف على غير سلام ووثام
فاذا ما اجتمعا فانتزعانى من مقامى
فبحسبى منها أنا شكونا فالتقيننا

يا فتاتى

يا حياتى

لا ترأى بعد هذا من فراق أو فوات
قدّر الله كليله لك فى ماض وآت
كلما فرّق شملينا دهانا فالتقيننا ...

عباس محمود العقاد



الرؤب أنستاس ماري الكرملي في عهد ميموده

احتفل الشيخ الجليل الأب أنستاس ماري الكرملي في ٥ آب بعيد ميلاده السادس والسبعين ، منزوياً في صومعته الهادئة ، منصرفاً إلى العمل الذي وقف عليه حياته

إن سيرة الأب الكرملي مثال حي للفكرة التي تتسلط على ذهن الإنسان فتعلق بشغاف قلبه ، وتندو جزءاً من أجزاء نفسه ؛ وأية فكرة هذه التي ملكت لب الأب وهيمت على جوارحه منذ حداثة عهده ؟

هي اللغة العربية ، وأكبر بها فكرة ينزع إليها العقل ، وتروى عنها النفس ، تراءت له وهو فتى لم يكد يبلغ أشده ، فبهره منها الحسن والسناء ، وقطع لها راضياً عهد المودة والوفاء . وها هو ذا بعد ستين سنة أو تزيد لا يزال وفيّاً بالمهد ، متحمساً للغة الصادحامة الشباب الفوار ، مخلصاً لها إخلاص الشيخوخة المحنكة الحكيمة

كانت اللغة العربية مذ وجدت - ولن تزال - وسيلة للخطاب والتفاهم ، تحمل الأفكار من ذهن إلى ذهن ، وتنقل الأخبار من جيل إلى جيل ، حتى قربت بين الناس ، ووصلت بين الأزمنة الغابرة والحاضرة . وإذا أصبحت بعد تهذيب أطرافها وتنميق أساليبها أداة الآداب الرفيعة ، لم تخرج عن كونها وسيلة لا غناء فيها إلا بما اتخذت له من غاية الإفصاح والتبيان . لكن لكتابتها وتراكيبها - مع ذلك - رجساً في الأذن ، ورسماً على القراطيس حببها أحياناً إلى النفوس ، وقرباها من الأذهان بصرف النظر عن مدلولها ومؤداها

ولقد أشار إلى ذلك أناتول فرانس في كتابه : « الحياة الأدبية » عند الكلام على معجم جديد ظهر في اللغة الفرنسية ، فقال إن بودلير كان يقرأ معجمات اللغة ويتهيج يقرأتها ، وأن تفوق غوتيه كان مولماً بالكلمات يحبها حباً جماً ، وأن جوزيه ماريادي هريديا كان يجهر بأن مطالعة المعجم تستثيره وتدخل على

نفسه من اللذة والسرور ما لا تدخله قراءة رواية « الفرسان الثلاثة » . وأضاف أناتول فرانس قائلاً بأسلوبه الساحر : « أما أنا فلا أجد عادة للكلمات معنى يفوق المعنى الذي يجعلها المصطلحات ، فقد كنت في أغلب الأوقات أهتم في معاجم كبيرة كأنها الرياض الملتفة . وسبب ذلك أنني أرى أن الألفاظ إنما هي صور ، وما المعجم اللغوي سوى عالم قد رتب بحسب ترتيب حروف الهجاء . وإذا نظرنا إلى الأمور نظرة صادقة فإننا نجد أن معجم اللغة إنما هو الكتاب الذي لا يفوقه كتاب ، فإنه يشتمل على التصانيف بأجمعها ، فاعليك إلا أن تستدرجها منه ... وإني لأشعر في قلبي بحنوٍ عظيم إزاء كل كلمات اللغة . إني أشعر برأفة كبيرة أمام طائفة التعابير البسيطة والفضمة . إني أحبها كلها ، فهي تستميلني وتستفزني ، وإني لأمس الكتاب الذي يضمها مساً شديداً يتم على مبلغ تأثري وارتياحي » غير أن هذه الوسيلة التي يستعملها الناس في خطابهم ، ويستعين بها الأدباء في أداء رسالتهم ، قد أصبحت غاية في حد ذاتها للعلماء الذين انقطعوا إلى دراستها ، ووقفوا حياتهم على استجلاء غوامضها .

فلا عجب أن نهج لغويتنا العربي نهج من سبقه من علماء اللغة الأعلام ، من أبي منصور الأزهري صاحب التهذيب ، وأبي نصر الجوهري صاحب الصحاح ، ومجد الدين الفيروزآبادي صاحب القاموس ، إلى البستاني ، والشدياق ، والشرتوني ، وسوام من المحدثين ، وأن ترسم خطي من سلف من أئمة التدقيق والتحقيق من أمثال جونسون ووبستر ، وأميل لثره ، فانخذ من اللغة غاية ما بعدها غاية ، يكب على نقد مفرداتها قد الصبر في وما أشبه لغويتنا من بعض الوجوه زميله الإنكليزي ضموئيل جونسون الذي سبقه بنيف وخمسين ومائة سنة ! ففيرة الأب على اللغة العربية تشبه فيرة جونسون على لغته الإنكليزية ، وأسلوب الأب المتين اللازم يمدل أسلوب جونسون (وإن يكن هذا الإنكليزي الصميم لم يرض قط أن ينزل إلى ميدان المساجلات والمناظرات بالرغم عن الحملات التي كثيراً ما حملت عليه) وجلس الأب شبيه بالمتنبي الأدبي الذي أنشأه الدكتور جونسون

وهذه الخدمة تؤكد ما أشرنا إليه غير مرة من أن رجال القانون في مصر جعلوا مصر المقام الأول بين الأمم الإسلامية في شرح القوانين باللغة العربية ؛ ولو أن الأقدار كانت بخلت بأن يظفر « سعد زغلول » بذلك المجد الضخم ، المجد الوطني والسياسي ، ثم جاء كتاب الزيات يحدد نفسيته وعقليته من أفضيته ، لكان كافياً في جمل « سعد » من أعظم الرجال

هذا الكتاب جيد جداً ، فليس من الإصراف أن نرجو عميد كلية الحقوق أن يؤلف لجنة تنظر فيه ، تمهيداً لمنح المؤلف درجة جامعية ، وإغراءً لأمثاله من الشبان بالتعمق والاستقصاء وإذا كانت « ذكرى سعد » هي التي حدث المؤلف في بعض السنين الماضية على التفكير في موضوع كتابه الجليل ، فأننا أرجو أن تكون كلمتي عن كتابه فناً من الاحتفال بذكرى « سعد » ، سعد القاضي على أعدل ما تكون فكرة القضاء فإن لم يكن بد من النص على السر في التوفيق الذي يحالف الأستاذ عبده حسن الزيات ، فأننا أرجو أنه يرجع إلى البر بالوالدين ، كتب الله له دوام التوفيق ... والسلام
رحمك مبارك

نصيح

نشرت « الرسالة » في العدد (٤٧٥) كلمة للأستاذ الفاضل حسين الظريفي عن يد حافظ :

كم ذا يكابد عاشق ويلاق في حب مصر كثيرة العشاق جاء فيها « على أن في البيت غلظة نحوية باستعمال لفظة (كثيرة) فهي إن نصبت على الحالية لم يستقم المعنى ، لأن كثرة عشاق مصر لا يكون حالاً من المكابدة ، وإن جرت على الصفة احتاجت إلى التحلية بأل المعرفة ، وبذلك يتكسر الوزن ، وعليه يكون من الضرورة استبدال لفظة (الجملة) بلفظة (كثيرة) ليستقيم الوزن والمعنى معاً » . ا هـ

أقول : وهذه غلظة عجبية فإن (كثيرة) تصلح أن تكون حالاً وأن تكون صفة ، فإذا كانت حالاً فهي حال من مصر ، والعامل فيها ليس يكابد كما توهم الكاتب ؛ بل هو لفظ (حب)

وصحبه وحضره مؤرخه بُوزُول ، فسجل مباحثاته ومداولاته . ومقام لغويًا العراق بين أقطاب العربية معروف مرهوق ، وجهاده في سبيل الفصحى مرثى مسموع ، ورأيه في التمسك بأهدابها مقبول متبوع . ولنا عليه أن يكمل مساعيه الموقفة في خدمة اللغة الشريفة بإخراج معجمه الكبير الذي وسعته « بالمساعد » ، فيتفرغ لإنجازه وتنقيحه وتبييضه ، فهو عصارة سعيه وخلاصة جهده .

(بغداد)

مير بصري

« سعد زغلول من أفضيته » (٥)

لم يكن الأستاذ عبده حسن الزيات ينتظر أن يكتب كلمة عن كتابه الجديد « سعد زغلول من أفضيته » ، لأنه يعرف أنى فرطت في التنويه بمؤلفاته وأبحاثه التي ظهرت من قبل ، وإن كان يعرف مع ذلك أن تقى بفضلها وكفايته لا تحتاج إلى دليل الكتاب يُعرف من عنوانه ، كما يقال ، وعنوان هذا الكتاب غاية في الدقة والتحديد ؛ ومن غريب ما وقع لهذا العنوان أن الخطاط الذي كتبه - وهو حسنى - قد استطاع أن يبرزه في أبهى حلة من حُلل الجمال ، مع أنه يقع في أربع كلمات يصعب الربط بينهما برباط الانسجام والاتساق ؛ وما أذكر أنى رأيت الكتاب معروضاً في أية مكتبة ، إلا وقفت أمتع ذوقي بخط العنوان . قال « حسنى » الخطاط تحية خالصة لا يشوبها غير الحرص على إعزاز الفن الجليل

ثم أتحدث عن الكتاب بإيجاز ، فأذكر أنه من أقوى الشواهد على حصافة المؤلف ، وعلى مبلغ فهمه للدراسات الجدية ، وعلى أنه جدير بثقة الذين كرموه عند ظهور هذا الكتاب النفيس وأذكر أيضاً أنني ما تحدثت عن الأستاذ عبده حسن الزيات إلا وصفته بصدق الوطنية ، فهو عندى من الشبان النواذر الذين يفهمون الوطنية على وجهها السليم ، وقد جاء كتابه تأييداً لهذا الوصف : فهو خدمة صادقة لمصر ، ممثلة في إراز جوائب من الفقه والمعدل عند أفراد من رجال القضاء ، على رأسهم « سعد » ،

(٥) كتاب في ٤٠٠ صفحة بالقطع المتوسط ، وفي الروتق للمروف من « مطبعة الرسالة »

المضاف ؛ والمعنى يكابد المشاق في حب مصر حال كونها كثيرة العشاق أى حبهام لها في هذه الحال

وعلى أنها صفة تجرى على رأى القائل إن إضافة الصفة المشبهة محضة أى إضافة معرفة ، وعلى ذلك فكثيرة معرفة

في المحرر

في الشعر النخبلي

كتب الأستاذ البشيشي في العدد ٤٧٣ من الرسالة يقول :
(فقد رأيت أن الشاعر البدوي الجليل عبد المطلب كان قد عالج الرواية الشعرية علاجاً استكمل شرائط الفن واستوفى أوصاف الحيوية التي طالعتنا من فنون أمير الشعراء ... فقد ألف عبد المطلب عدة روايات شعرية تمثيلية ... وبذلك ينفرد وحده بفضل السبق في هذه الناحية الخطيرة من الفن الأدبي ، فقد اقترح هذا اللون من الشعر الروائي اقتراعاً) وكل ذلك لم يكن ؛ فعبد المطلب وإن عالج الشعر التمثيلي ومشى فيه خطوات لا تحمد ولا تدم ، لم يكن السابق ولا المقترح ، وإن كان له فضل الاستجابة السريعة لتلك الموجة الجديدة بين شطآن أدبنا العربي الحديث ؛ وإنما السابق إلى ذلك ، الشاعر خليل إليازجي كما يحدثننا أستاذنا المرحوم محمود مصطفى في الجزء الثالث من أدبه العربي حيث يقول ص ٤١٣ (وعلى ذكر روايات شوقي التمثيلية نذكر أن أول من حاول جعل الرواية العربية كلها شعراً هو المرحوم الشيخ خليل إليازجي في رواية « المروءة والوفاء » وقد مثلت في الشام ، ويذكر المرحوم جورجى زيدان أنه شاهدها في بيروت ١٨٧٨ م) ولا شك أن حادثة كهذه بقاء في الأدب قد وصلت إلى سمع الشيخ عبد المطلب ، وعلى فرض أنها لم تصل إلى سمعه فقد ملأ الشعر التمثيلي في القرن التاسع عشر أرجاء أوروبا ، هذه واحدة ؛ أما الثانية فعبد المطلب على فضله لم يستكمل شرائط الحيوية التي طالعتنا من فنون أمير الشعراء ؛ فهذا القول أقرب إلى الغلو منه إلى أى شيء آخر ؛ فشمس عبد المطلب في هذا الباب لا يصح أن يذكر بجانب شوقي وغزلته . فهما وإن اشتركا في الجنس فقد اختلفا في النوع أيما اختلاف ، وإنك لن تستطيع أن تم قراءة تمثيلية لعبد المطلب

إلا بعد حمل على النفس وإعنات لها وإجهاد . حاشا شوقي فإنه يطير بك فلا تشمر أن لعقلك أو لقلبك منازعة معه ، وإنما هي الفجولة الشعرية تفرض عليك أن تطير معها حيناً تطير

عبد الرحمن هيسى

خريج كلية اللغة العربية

من نوارده الخواطر

كتب « قاف » في العدد ١٨٨ من الثقافة تحت عنوان « شخصية العامل وعمله » ما بلى :
نمودنا منذ قريب أن تقول كلما عرضنا للحديث عن شخص من رجالنا العامين ، وحاولنا الموازنة بين عمله وبعض تشوئه الخاصة — نمودنا أن تقول معتدلين من بعض سلوكه . هذه مسائل شخصية »

وهو يضرب لذلك الأمثلة ثم يقول : « مستحيل أن يكون الرجل رجلين : رجلاً في الشارع والبيت ، ورجلاً في الديوان . إن الرجل الذي هنا هو الرجل الذي هناك وإن اختلف الزى والشارة .

فهل يعلم « قاف » أن هذه الفكرة ذاتها قد وردت في مقال الأستاذ عبد النعم خلاف تحت عنوان « مقتول بيكي على قاتله » في العدد ٣٧١ من « الرسالة » الصادر في ١٢ أغسطس سنة ١٩٤٠ حيث قال الأستاذ :

إن هذا التفريق بين السلوك السيامي والسلوك الروحي قد صار أمره عجيباً من أعاجيب الحياة الأوربية ! وقد بات خطراً على الحياة الإنسانية الشخصية ، لأنه تسرب إلى موازين الحكم على الأفراد ، فهم يحترمون الذكي ويقدرونه ولو كان شيطاناً شريراً . مستنداً ويقولون هناك حياة خاصة يحمل للانسان فيها ما يحرم عليه في الحياة العامة حتى تعددت الشخصيات . ثم يقول بعد ذلك : هذا كذب وتدليس على الطبيعة كما أرادها الله فاحذروه ، « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » . إلى آخر المقالة
فهل يرى « قاف » أن هذا من توافيق الخاطر ؟

أحمد جبرانه